آداب العبادات

قال ابو عقيل : حدثني احمد بن عبد الله قال : سمعت شقيقاً يقول :

ان المنازل التي يعمل فيها أهل الصدق اربع منازل : أولها الزهد — والثاني الخوف — والثالث الشوق الى الجنة — والرابع المحبة لله . وهذه منازل الصدق .

I

ومبتدأ الدخول في الزهد أدب النفس بقطع الشهوات من الطعام والشراب على القوت الكافي ، ومنعها من الشبع بالليل والنهار ، حتى يصير الجوع لها شعاراً والطعام لها دثاراً — ولا قوة الا بالله — فيجعل لنفسه طعاماً معلوماً ، ويطرح مؤنة الادام . ويجعل طعامه قوتاً ، ويجعل طعامه أكلتين : إن شاء غداء[1] وعشاء ، وإن شاء عشاء وسحوراً ، إن اراد الصوم . والصوم أقوى وأسرع في السير .

ولا يجعل طعامه أكلة واحدة . فانه اذا اجتمع قوت يوم وليلة في وقت واحد ، ظلّ يومَه وعامة ليلته ليس لهو جوع . فيطلع في تلك الحال الى فضول الشهوات ، ويغفل جسدُه لاجتماع الطعام في بطنه . وامتلاءُ جوفه مُشغلٌ لجسده عن العبادة والصلاة .

ولكن ليجوّع نفسه حتى يشتغل بالجوع عن التطلع الى فضول الشهوات والتمني . فانه اذا كان في أول النهار أكل في ثُلُث بطنه او نصفه ، لم يزل يريد الطعام ويشتغل عن الفضول الى الليل . واذا كان بالليل ، أكل كما وصفتُ النهارَ ، واشتغلت نفسه بشهوة الطعام الى الصباح ، ولا يتمنى ، فان التمني من الشهوات ، ولا يتطلع اليها .

---

1) Ms : غذاء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وينبغي ان لا يأكل الا في ثُلُث بطنه . ويجعل الثلث الثاني والثالث للنَفَس والتسبيح ولقراءة القرآن . فأكلتان أقوى من أكلة واحدة واعظم للجسد . وان شهوة الفضول حب الدنيا .

فاذا مضى به يوم ، وقد علم الله منه صدق النية ، أخرج من قلبه طائفة من حب الدنيا ، وأدخل مكانها نور الزهد والجوع .

فاذا مضى به يوم آخر على ذلك ، يروّض نفسه ويؤدّبها ليقطع عنها شهوة الفضول ، اخرج من قلبه شهواتها . ولا يزال كل يوم يمرّ عليه يخرج الله من قلبه الظلمة ويدخل مكانها النور ، حتى يأتي عليه اربعون يوماً ، لم يبقَ من الظلمة في قلبه شيء الا أخرجه الله تعالى وجعل مكانه نوراً . فيصير قلبه نوراً يزهر ، قد تمكّن فيه نور الزهد .

فهو يومئذ في الدنيا لا يطلبها مع الطالبين ، ولا ينافس فيها مع المنافسين ، وليس له في نعيمها أرب ، ولا الى ألفها طرب . قد هانت عليه . فهي مطروحة لديه . قد استراح من تعب الطلب ، وأراح نفسه من أنواع التعب . وليس تلقاه الا قوياً ، نشيطاً ، قنوعاً ، غنياً ، قليل الهمّ ، عظيم الخطر . على وجهه بهاء العابدين ، وفي قلبه انوار الزاهدين ؛ فليس له في شيء من الدنيا حاجة الا في قوامه من العيش ، وهو خير من غيره .

هذه منزلة جميلة ، جيدة ، حسنة . فاذا صار هكذا ، فان شاء ، فليدم على ذلك حتى الممات . وان شاء ، فلينزل منزلة الخوف من الزهد .

II

والزهد والخوف اخوان ، لا يتم واحد منهما الا بصاحبه . وهما[1] كالروح والجسد مقرونان . لأن الزهد لا يكون الا بالخوف من الله . فلا يلزم العبدُ الزهدَ الذي هو الزهد ، حتى يلزم الخوفَ . واذا لزم الخوفَ ، اقترن به الزهد ، فصار زاهداً ، [والتقى] نور الخوف ونور الزهد .

1) Ms : وهو .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومبتدأ الخوف ان يُلزِم قلبَه ذكرَ الموت حتى يرقّ ، ويُلزم نفسه الخشية لله والحذر والفرق من الله ، حتى يخافه خوفاً كأنه يراه .

فاذا مضى به يوم واحد ، وهو آخذ في الرياضة والخوف لطلب منزلة الخوف ، نظر[1] الله اليه اذا علم منه النية والصحة فالزمه شيئاً من المهابة ، والزم قلبه نور الخوف . فاذا مضى به يوم آخر وهو على ذلك ، زاده الله مهابة ، وزاده في القلب نوراً . فصارت المهابة على وجهه[2] [حتى اذا تمّ له اربعون يوماً ، اكمل الله له المهابة بأسرها] ، فهابه الأهل والولد .

فهو حينئذ الخائف ، الحزين ، الذليل ، المسكين ؛ لا يلهو مع اللاهين ، ولا يسهو مع الساهين . دائمُ البكاء ، كثير الدعاء ، قليل النوم ، كثير الخوف . وجارُه آمن مكره ، غير خائف لشرّه . فلستَ تلقاه الا مهموماً ، خائفاً ، محزوناً ، مكروباً . لا ينفعه العيش من شدة الخوف وكثرة الحزن . فهو دائماً ليس يفتر عن الذكر ، ولا يقصر عن الشكر ، قد طرد خوفه الكسل ، لا يتبرم ، ولا يفتر ، ولا يملّ . فاذا صار هكذا ، فقد نزّل نفسه منزلة عظيمة ، جسيمة عند العامة ، لانهم لا يعرفون غيرها ، ولا يبصرونها : فهي عند المبصرين أرفع المنازل .

فان شاء ، فليلزم حتى الممات ؛ وإن شاء ، فلينزل منزلة الشوق الى الجنة مع ما هو فيه من الزهد والخوف .

III

ومبتدأ الدخول في الشوق الى الجنة ان يتفكر في نعيم الجنة وما أعدّ الله فيها لساكنيها من أنواع الكرامة والنعيم والخَدَم ، ويشوّق نفسه الى الحور العين والنعيم الدائم المقيم .

فانه اذا مضى به يوم ، وهو يكابد نفسه على الشوق ، وعلم الله منه النية الصحيحة في الاجتهاد ، سكن قلبه نور الشوق الى الجنة . فاذا مضى به يوم

---

1) Ms : ونظر || 2) Ms خ : اظن هنا سقط . ويصلح ان يقال : « حتى اذا تم له ... باسرها » وهو مستفاد من قوله ايضا .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخر ، وهو على ذلك ، زاده الله من النور والشوق الى الجنة . حتى اذا تمّ له اربعون يوماً ، كمّل له نور الشوق الى الجنة في قلبه ، فصار القلب ، الغالبُ عليه الشوق ، وأنساه الخوف الذي كان في قلبه من الخوف ، وألقيت عنه مؤنته من غير ان ينقص من نور الخوف شيء ولا فارقه .

فهو حينئذ المشتاق ، الشديد الحب ، العالم الغريب ، الدائم الاحسان ، الذي لا يروح لكسب المال ولا تشغله الاشغال ولا تحزنه المصائب ولا ترمضه النوائب . صادق المقال ، كريم الفعال . فليس تلقاه الا ضاحكاً ، مستبشراً بما في يديه ، غير بخيل ولا منّان ، ولا هماز ولا لماز ، ولا نمام . هو الصوام القوام . فاذا صار هكذا ، فقد نزل منزلة أعظم وأشرف من منزلة الخوف .

فان شاء ، فليدم عليه الى الممات ، وإن شاء ، فلينزل منزلة المحبة لله .

IV

فان كثيراً من الناس جازوا منزلة الخوف والشوق الى الجنة ، فصاروا الى منزلة المحبة لله . فليس كل واحد يصير الى هذه المنزلة . لأنها أرفع المنازل وأشرفها وابهاها . ولا يصيّر الله الى هذه المنزلة أحداً إلا من تقوّى قلبه عليها باليقين الصادق والفعال الفائق المطهر من الذنوب ، المبرّأ من العيوب .

فاذا صيّره الله الى هذه المنزلة ، كان في قلبه نور المحبة . فغلب عليه من غير ان يكون فارقه نور الزهد والخوف والشوق الى الجنة ، ولا نقص منها شيء . فيصير قلبه قد امتلأ حباً وشوقاً اليه وينسى ما كان فيه من الخوف والشوق الى الجنة ، كرامةً من الله ورحمةً ونوراً وانعاماً عليه .

ومبتدأ الدخول في محبة الله أن يلهم قلبَه محبة ما أحبّ الله ، وبغضَ ما ابغض الله . حتى لا يصير شيء احب اليه من الله ومن رضاه . ومن ابتغى محبة الله ، نظر الله اليه ورحمه ، وألقى اليه المحبة[1] .

---

1) قرآن ٢٠ : ٣٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاذا مضى عليه يوم آخر ، وهو في ذلك ، زاده الله محبة حتى يصير حبه في قلوب الملائكة وقلوب العباد ، وذلك تمام اربعين يوماً . فاذا خلصت نيته ، فهو يومئذ المحبوب ، الكريم ، المقرّب ، المهذّب ، الحليم ، السهل ، الكثير البرّ ، الزكي ، المتجافي عن الفواحش ، الزاهد في الرئاسة . وليس تلقاه الا مبتسماً ، حليماً ، كريماً ، مهذب الاخلاق ، طيّب المذاق ، ليس بالعابس ، حسن البشر ، طيّب الخبر ، مجانب الذنوب ، مخالف الكذابين ، لا يسمع الا فيما يحب الله . قد أحبه من سمع به او رآه . وذلك بحب الله عز وجل إياه .

فمثل نور الزهد والخوف في القلب كمثل كوكب يُنظر اليه وهو يتلألأ . فبينما هو ينظر اليه ، اذ طلع القمر ، فيُطفأ نور الكوكب من غير ان يطفأ الكوكب . ولا الكوكب يبرح من مكانه . فكذلك نور الشوق يغلب نورَ الخوف والزهد ، من غير ان ينقص من نورهما شيئاً .

ومثل نور الشوق مع نور المحبة كمثل القمر الطالع . فبينما هو ينظر اليه ، اذ طلعت الشمس ، فأطفأت نوره ، والقمر من مكانه لم يبرح ، ولم ينقص من نوره شيء . فكذلك نور المحبة لله أقوى الانوار وأعلاها على العبادة .

***

Version abrégée

باب منازل الصدق

قال ابو عقيل : حدثني احمد قال : سمعت شقيقاً يقول : المنازل التي يعمل فيها أهل الصدق اربع ، وأهل الصدق ثلاثة اصناف :

منهم من هو بمنزلة الزهد والخوف ، لا يخرجون منهما ولا يعرفون غيرهما . وصنف منهم في منزل الشوق الى الجنة لا يعرفون فوقها منزلة ، ولا يخرجون منها . وصنف منهم قد قطعوا المنزلتين الى الله جميعاً . فصاروا في رَوح الله ورحمته ، وصارت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلوبهم معلقة بربهم يتلذذون بمناجاته اذا خلوا به ، ويعرضون على قلوبهم ما يرجون من رحمته وملاطفته . وهو الغالب على قلوبهم . هو في الدنيا أنسهم وسكونهم وسرورهم وفرح قلوبهم.

فاذا اردت ان تبصر بقلبك نور الله فارفع عن قلبك خمسة[1] أشياء : أولهن رد المظالم ، والثانية تقديم الفضل من القوت ، والثالثة ان تخالف هواك في جميع ما لا يكون لله فيه رضاً ، والرابعة ان لا تخاف الفقر ، والخامسة ان لا تبالي ما ما قال الناس فيك من خير او شر.

وعند ذلك يحيي قلبك وتنظر بنور الله تعالى .

---

1) Ms : اربعة ؛ Ms خ : ولعلها خمسة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسالة الاستعداد الكلي
كتاب الخلوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد للّه الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات، ونزّه أسرارهم وخواطرهم فيها عن الجولان في ملكوت السماوات، ونصبها مثالاً لأحديته من أكثر الوجوه والجهات، وجعل نعتهم فيها نعته في فردانيته من عدم الحركة والالتفات، وقدَّسهم عن صفات القِدَم تقديسه في وحدانيته عن صفات المحدثات، فهم فيها يطالبون وجودهم في غيبه، طلبه وجوده في غيبهم، إذ كان ولا شيء مقابل، سور بسور وآيات بآيات، ومنحهم فيها أموراً يقرعون بها هذه التجليات المعينات، ويقيمون بها درب التنزلات، المنزّه عن حمل الملقيات والمرسلات، خلع عليهم فيها من الخلع ما يقتضيه استعدادهم فيها فيما يطابقها من الحضرات، فإن المنشآت من النفخ بالنفخ الإلهي الآباء العلويات، والسفليات حركة على صورة استعداد الأمهات، به وقع التفاضل بين هذه الذوات، فلا تجلٍ يتكرر على شخصين لما ذكرناه من هذه الماهيات، فلا يزالون في خلواتهم في تخليص هذه من علل التجليات الألوهية الخيالية، وإماطة ما يأتي به من الكشوفات الوهميات، وهذا التجلي هو الذي أدى بعض المخذولين المعدول بهم عن طريق الحق أن يقولوا بنفي عين الغير والسوى في توحيدهم، ثم يجعلون له لساناً وكلمات، فتناقضت دعائمهم إذ كانوا لا يدرون، ولا يدرون أنهم لا يدرون، وهذه من أعظم الجهالات، ومن هذا الموطن ـ بحكم هذا التجلي الخيالي ـ زلّ إلى أسفل الدركات، ومنه علا من علا إلى أعلى الدرجات، وهذه الألوهية الخيالية هي التي رأى (ابن صياد)(٢) عرشها على البحور الزاخرات،

---

(١) أثبت الناسخ بعد البسملة ما نصه:
(قال الشيخ الأكبر، علامة العلماء، قدوة الأكابر أعجوبة الدهر، فريد العصر، لسان الحقائق محيي الدين أبو عبد اللّه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي، رفعه اللّه إلى المقام الأسنى، وختم لنا ببركات وبركاته علومه بالحسنى، بمحمد وآله آمين).

(٢) اسمه صاف وأصله من اليهود، وقيل: إنه الدجال، وتحدث معه النبي أكثر من مرة ودعاه إلى الإسلام، وحديث الدخ شهير بينه وبين النبي (ص)، انظر «نيل الأوطار»، ١٨/٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقابلاً للعرش الحقيقي الكائن على الماء كما ورد في الآيات البيّنات، وأخبر صلى اللّه عليه وسلم أن ذلك عرش إبليس تقريراً للعرشين، وبياناً للفرق بينهما عند أهل الفطرة المستقيمة والإدراكات، فسبحان من فطر الإنسان على العالم وعليه، وجعل العين المقصودة عنده، وكانت به الكائنات، فمن ثبتت قدمه في عبوديته بعد تحصيل هذه المعرفة من طريق الكشف فهو الخليفة صاحب الأسماء والنعوت والصفات، ومن زلّت قدمه في عبوديته في هذا المقام حلّت به المثلات، فالحمد للّه بعد حمد لما أسداه من جزيل المنح وجسيم الهبات، وصلى اللّه على سيدنا (محمد) الشارح لهذه المقامات العلويات وسلم كثيراً، أما بعد: فإنك سألت أيها العارف الوليّ عرّفك اللّه ما لا نهاية له من المعارف أن أقيّد لك صورة الاستعداد الجامع الكلي، الذي لا يتقيد باسم معين، ولا يحصره مخصوصه، ولا ينحل بوقف عنده، ولا يتعدى ليلقى ما يناسب هذا الاستعداد الكلي من الأسماء المؤثرة وغير المؤثرة، والحضرة المقيدة وغير المقيدة، والتجليات العامة والخاصة، والتنزلات الإلهية، والاستنزالات الروحانية، والاطلاعات على الكائنات الغيبية في الحركات الدورية، وتوالج العوالم في مراتبهم، وصور المعارج والمدارج، والنسب الرابطة بين العوالم والتأثيرات السفلية، وخلق الملائكة والروحانيات العلى [٢٢١] من الأنفاس الآدمية والحركات البشرية، وتولد الأرواح من الأجساد، والأجساد من الأرواح، ومشاهدة العالم المهيم والمسخَّر والمدبَّر، والتبدّل الإلهي في صور المعارف والاعتقادات على اختلافاتها، والاستكشافات على توسع الذات الإلهية، لتنوع هذه الصور العرفانية الموقوفة على الحجة، وتنوّع المشارب، ونسبة الحق من العالم الواحد على ما لا يتناهى من المعلومات التي لا تتصور، والوقوف على مقام إحالة شهود الفعل، ومشاهدة المرتبة التي تنفي الإمكان والمحال عدم محض، فلم يبق إلاّ الوجوب ومطالعة السريان الإلهي الذي ينفي حكم القدر، وهو توحيد الوجود ونفي الاختراع والخلق والتدبير، وجحود الأسماء المؤثرة إلى أمثال ذلك الكشف التام، والأمر الذي كان به النظام، ومما يرى ولا يقال، وسألت في ذلك سؤال العارف بالمصادر والموارد والمواقف، لما علمت أنه ليس كل استعداد يعطي الأمر الكلي، ورأيت أرباب هذه الطريقة قد أقاموا على استعدادات مخصوصة أنتجت أموراً معينة يشار إليها، ويقتصر عليها، وأنفت همتك الشريفة على الاقتصار على ما وقف عليه هؤلاء، وإن كانوا سادات وملوكاً، ولكن أمير المؤمنين واحد، فاسمع يا أخي جواب ما سألت عنه وزيادة، لينتفع بالزيادة غيرك إذا وقف على هذا الكتاب ممن لا يقدر على استعمال ما سألت عنه، ولا تأخذ عليَّ في ذلك، فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سئل عن مسألة واحدة، فأجاب وزاد، فقيل له: يا رسول اللّه أنتوضأ من ماء البحر؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)[1].

بيان وإيضاح

سألت عن الخلوة المطلقة ولم تسأل عن الخلوة المقيّدة، وأنا أجيبك إلى ما سألت وأزيد من الخلوة المقيّدة ما تيسّر فإنها كثيرة.

أولاً اجعل للخلوة حداً زمانياً معلوماً كما وقعت عليها إلاّ الخلوة الصمدانية خاصة في هذا الكتاب، فإني حدّدتها بالزمان لخاصية فيها، وما حدّ من الخلوات بالزمان الأعلى حسب ما وجد واختاره عن وجه صحيح، وهو محض في ردّ الحد الزماني، فإن الأمزجة مختلفة، وفراغ قلوب الخلق من الكون ليس على مرتبة واحدة، وإنما هو على قدر الباعث والطبع المساعد، فقد يفتح لأحد في يومين غير ما يفتح لآخر في شهرين، ولآخر في سنتين ولا يفتح لآخر أبداً، وقد يؤهل أحدهم للإلقاء والتنزيل، والآخر لكشف الحقائق، والآخر ما يتعدى به الخيال والمقال، وكل له مقام معلوم تقتضيه جبلّته، فالحدّ الزماني في الخلوة لا يتصور، وكذلك الجوع والأغذية تابعة للمزاج، فلا يتعيّن تخصيصاً، ولكن يقال بأمر كلي، وهو أن يعطي صاحب الخلوة ما لا يلائم طبعه، ويؤمن منه، برد الفتح على الاعتدال، ولا ينحرف المحل إلاّ لسلطان الوارد، فإن الانحراف لغير الوارد سبب قاطع لحصول الخيال والأوهام، وشهود ما ليست له حقيقة، وكذلك لا أذكر ما ينكشف في الخلوات لوجهين، الواحد: لتعلق النفس بما سمعته، واستعدادها لتحصيله، فقد يسبق له التجلي الخيالي قبل الحقيقي، فيقول: قد حصل المطلوب، وما حصل على طائل، فإن الخيال لا حقيقة له في نفسه؛ لأنه ليس بعالم مستقل، والوجه الآخر: إن النفوس غير متساوية في أصل النشأة؛ لأنها سبب تركيب البدن، وقبوله للفتح الإلهي من الروح الأقدس فقد للفتح نفس عن نفس، وقد [٢٢٢] تزيد، وقلَّ أن يتساوى، بل هو محال، لكن يقرّب، فإن كنت فطناً لما ذكرناه، فانظر اختلاف الأشخاص، لاختلاف الأحوال، لاختلاف الحركات العلوية، لاختلاف التنزلات، لاختلاف التجليات، وفي الشريعة الواحدة من الشرع الواحد تجد ذلك، فهذا الذي منعني من ذكر نتائج الخلوات، فإنني ما أصف سوى ما وجدت، ما من نبي إلاّ واستعد وخلا مع ربه و: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2] تقتضيه الحضرة الإلهية، فتقتضيه للصورة التي خلقت عليها، فالواجب ذكر الداعي والاستعداد للتحصيل لا ذكر ما يحصل.

---

(١) مستدرك الوسائل، ١/١٨٧، مسند أحمد بن حنبل، ٢/٢٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باب ما ينبغي أن يكون صاحب الخلوة

إن شاء اللّه تعالى ينبغي أن يكون شجاعاً مقداماً لا يكون جباناً خواراً، فإن كان حاكماً على وهمه غير مقهور تحت سلطانه تخيله زاهداً في كل ما سوى مطلوبه، عاشقاً لمن توجه إليه، عارفاً بقوته من قوة الأمور القواطع التي بين يديه، نافذ الهمة، صادق الخواطر، ثابتاً عند زعقة عظيمة، أو وقع جدار، أو مفاجأة أمر هائل، غير طائش، كثير السكون، دائم الفكر، عائباً على أكثر الحالات، ساهياً عن لذة المدح، وعن ألم الذم، وصاحب قوت طيب، لا يجد في نفسه عند أكله أثراً يريبه من باب الورع، فلهذا قال بعض أئمتنا: ما رأيت أسهل من الورع، كلما حاك له في نفسي شيئاً تركته، وهو قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[1]، فإن كان مما يحتاج إليه من أسباب خلوته لا يكلف له أحداً، فحينئذٍ له أن يدخل الخلوة، وإن لم يكن على شيء من هذا فلا سبيل له إلى الخلوة، لكنه يشتغل بالعزلة، ويدرب نفسه ويهذبها ويروضها بما ذكرناه إلى أن يعتاد، فإن الخير عادة، فإذا حصل هذا الأمر دخل الخلوة إن شاء اللّه تعالى، أي خلوة شاء عامة أو خاصة، وليقدم صاحب الخلوة بين يدي خلوته صدقة إن كان له شيء، ولو لم يكن له سوى ثوبين يتصدق بأحدهما، أو ثوب واحد يمكن أن يباع بثوبين يستبدله بغيره ويتصدق بالفضل.

باب ذكر الخلوة المطلقة

أيها السائل هيأك اللّه لاستعداد ما سألت عنه واستعماله، لتعلم أنك لما سألت عن الاستعداد الكلي لم يتمكن لي أن أخص به صاحب شرع التنزيل وصاحب شرع الكون، لمشي الاستعداد على حسب ما تعطيه النشأة الإنسانية القابلة عند صفاتها وتخليصها، لما ذكرناه من هذا الأمر الذي يقع به التفضيل بالعوالم والأسماء على حسب ما تعبد به أيضاً من الأمور المشروعة المنزلة عن الأمر والمشيئة، فأقول: إن لم يكن صاحب شريعة أمر منزل، وكان صاحب شريعة أمر مشيأ أو مطلق، فلا بدّ أن يلتزم موافقة ما توطنت عليه النفوس من مكارم الأخلاق، وترك ذميمها وسفسافها، وبنفس ما يفعل يبدأ من فعله، فقد دخل تحت هذا الأمر الشرعي المنزل، فإنه صلى اللّه عليه وسلم بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، والحكم عندنا للأحوال وحالة ما ذكرناه، فلا بدّ من الكشف بلا ريب ولا شك؛ لأن الأحوال تطلب لا العقائد والأقوال، فتفطن لما ذكرناه، ولا يقتصر في وجود الحكمة عند بعض الناس، وإن كان الفاعل

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ١١٢/٣، سنن الدارمي، ٦١/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الخلوة قابلاً بالشرع، معتقداً له، قائلاً به، فليعلم أنه منقسم بين افعل ولا تفعل، وإن شئت افعل، وإن شئت لا تفعل، فأما قسم لا تفعل، فامتثله مطلقاً من غير توقف، ولا حديث نفس ولا تردد، وأما قسم إن شئت [٢٢٣] فهو المباح، فانظر إن كان فعله يؤدي إلى خلق كريم شرعاً فافعله، وإن كان تركه يؤدي إلى ذلك فاتركه، وأما قسم افعل فامتثله امتثال السائس لنفسه، الخائف من شرورها، وذلك أن قطعها في نتائج ذلك الفعل بما يكون لها من الشفوف والاختصاص بدرجة الكمال على جنسها، ثم ما يستحق كل عالم من الحيوان الناطق وغير الناطق، والنبات، والجماد مما ينبغي أن يعامل به من الخلق الذي يوافق غرضه إن كان ذا غرض مع حفظ الشرع، وهو كل الحيوان، أو ما يوافق الحكمة في عالم لا غرض له كالنبات والجماد، وهو بترك العبث، فلا يقطع نبتاً ولا يفسد نظامه وترتيبه عبثاً لغير فائدة تعود فيه على حيوان تجتلب بذلك منفعة، أو دفع مضرة عنه، وكذلك لا يحرك حجراً عن موضعه عبثاً، والجامع من هذا كله ألا ترسل جوارحك وحواسك عبثاً هذا شرط لا بدّ منه، فمهما زال انحلّ النظام، ثم معرفة الذنوب صغيرها وكبيرها، خفيها وجليها، واستجابة التوبة عليها، وردّ المظالم المقدور على ردّها من عرض ومال لا من دم، وتطهير عالمك الباطن من كل مذموم شرعاً وعرضاً وطبعاً، وتقييده عن الجولان في مراتب الكون وتفريغه عن الفكر، فإن الفكر أضرّ شيء في هذا الاستعداد، وفي جميع المخلوقات لا يصح به أبداً، ولا يظهر لصاحبها ثمرة صحيحة إلاّ بحكم الاتفاق، فالله الله يا أخي احفظ نفسك منه، وكذلك حديث النفس وتصرفها في مراتب الكون لا تساعدها على ذلك، فإنه تمزيج وتخليط، وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو: «الله الله»، وإن شئت «هو هو»، ولا يتعدى هذا الذكر أن يتفوّه به لسانك، وليكن قلبك هو القائل، ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر، حتى ينبعث الباطن من سرّك، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك الذكر، فلا تترك حالتك التي كنت عليها، فإنها قوة عرضية، إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول بسرعة، وأما مقدار ما يلبس من الثياب، فهو ما يكون به بذلك معتدلاً، وليكن من وجه لا يريبك مثل الأكل سواء، وليكن عندك حفاظ هي تباشر بمودتك نفسك في أكثر الأوقات، ولا سبيل إلى الاضطجاع، ولا إلى النوم إلاّ على غلبة، وليقدم أولاً قبل دخولك الخلوة الأولى أية خلوة كانت مطلقة أم مقيدة رياضة وعزلة عن الخلق وصمتاً، وتقليلاً من الطعام، وترك شرب الماء جملة واحدة أجهد فيه، فإنه يسير المؤونة، فإذا أنست النفس بالوحدة عند ذلك تدخل الخلوة، ومما يختص بهذه الخلوة وبعض الخلوات ألا تقتل حيواناً أصلاً لا قملة ولا غيرها، وإذا خفت من الهوام في رأسك فاحلقه، ولكن عند دخولك في الرياضة، وقبل أن يتكون فيه حيوان، ولتستعد بثياب لطهرك، تستر بها في أكثر الأوقات قبل أن يتعلق به حيوان فيشغلك، وذلك ما دمت تحس بنفسك، فإن استغنيت عن هذا كله فهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلوب، ولا تقعد ساعة دون طهارة، والأساس كله على التوجه إلى اللّه تعالى بالتوحيد المطلق الذي لا يشوبه شرك خفي ولا جلي، ونفي الأسباب والوسائط كلها جملة وتفصيلاً عقداً جزماً، فإنك إن ضربت هذا التوحيد، فلا بدّ من الشرك، فقد تُنادى من الشريك وهو كون، فلا يلوح لك من الأمر الكلي أصلاً، وينحل النظام، ويحفظ من الشك والتعطيل، فإنه يناقض المطلوب، ويكفيك ما سامحتك به من شرع الكون، فإنك إذا كشفت [٢٢٤] الحقائق لا تقدّر على جهل ما علمت، وإنكار ما شاهدت، فلهذا سامحتك بشرع الكون لمعرفتي برجوعك إلى الحق، ووقوفك عند الأدب الإلهي، فاشترطت التوحيد وهو الباب الأول، الإيمان، فإنه قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] لأهل الشرك والشكر، فإنه لم يثبت غير اللّه، فأين اسأل استعدادك على أول الأبواب الإيمانية، وهذا معنى ما ترجم الإمام (البخاري) رحمه اللّه باب ما جاء من أن الأنبياء دينهم واحد في هذا المقام، وفي بعض الأحكام فقد حصلت في الدائرة والحمد اللّه، والصمت لا بدّ منه، وأما الأكل ما دمت تؤثر نفسك ألاّ تجوع الجوع المشغل، ولا تشبع الشبع المثقل، ولا تترك الطبيعة تتعدى منك، ولا تترك عندها فضلاً عن الوقت حتى يكون آخر الخلاء المعدة أقل تحصيل الغذاء وهو قوله عليه السلام: (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)[2]، ولكن من وجه لا يريبك ولا يتضرر فيه مخلوق بكلمة، ولا سبيل إلى أكل الحيوان البتة، ولا أن تسخّر في غذائك سواك، بل تشتغل في غذائك بخلوتك، ولا تصرف في تحصيله غيرك البتة، وإن جهلت مزاجك، فاعرض نفسك على الأطباء، فهم ينظرون لك في الغذاء الذي يلائم طبعك، ويصلح لمزاجك، ولتقل لهم ما تريد أن تفعله من التقليل، وعدم الفضول من أجل التصرف، والحركات، والثقل المؤدي [إلى] النوم والكسل، فهم يركّبون لك الغذاء لتبقى على الأيام الكثيرة، ولا تحتاج فيها إلى غذاء أو لبراز، وإنما لم نعين في هذه الأوراق الغذاء المخصوص لما ذكرنا من اختلاف الأمزجة، والذين يفهمون هذه الأوراق كثر، فربما يستعمل ذلك من لا يلائم طبعه فيتضرر، فيعاقب عند اللّه سبحانه وتعالى، هذا وإن انحصرت الأمزجة في الأمهات، ولكن فيها دقائق وتفصيل لا تُعلم إلاّ بما شاهده الشخص في الوقت، ويحتاج في الغذاء بعد معرفة شخصه ونفسه إلى معرفة الزمان والمكان، فهذا منعني من أن أعين الغذاء، لكن لنا أن نبين الأمر الكلي، وهو أن تستعمل الغذاء الخفيف الملائم للطبع البطيء الهضم، المشبع الذي لا يحتاج معه إلى التصرف، وأما صورة الأكل في الرياضة في أوان العزلة وفي الخلوة فهو أن تأخذ اللقمة

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ١٣٢/٤، سنن ابن ماجه، ١١١١/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتسمي عليها خالقها بذلة وافتقار وحضور وخشوع، فإذا ألقيتها في فمك فأكثر مضغها جداً، فإذا ابتلعتها فاحمد الذي سوغها حمداً تاماً في حالة حضور ومراقبة وتربص، حتى تعلم أنها قد استقرت في فم المعدة، ثم بعد ذلك لقمة أخرى تفعل بها مثل الأولى هكذا إلى أن تنتهي إلى القدر الذي فيه غذاؤك، وكذلك شربك الماء مصاً، وتقطع نفسك مراراً، واعلم أن العطش جربناه فوجدناه من الشهوات الكاذبة، وجربه غيرنا فوجده كذلك، فعوّد نفسك أن تمسكها عن الماء، وإن عطشت فإنك إن جاهدتها قليلاً تنعمت بها كثيراً، وتقيم واللّه الشهور الكثيرة نعم، والسنين وأكثر ولا تشرب فيها الماء، ولا تشتهيه ولا يؤثر في مزاجك، ولا في بدنك، وتقنع الطبيعة بما تستمده من الرطوبات التي في الغذاء ولهذا يستحب بل يجب المجاهدة والرياضة في العزلة قبل الخلوة حتى يصير ذلك طبعاً وعادة ولا تحس النفس به، فتدخل الخلوة عقيب ذلك مستريحاً نشيطاً طيب النفس فارغاً من المجاهدة [٢٢٥] خالي المحل من المكابدة فيها، مفرغاً للذكر المذكور، والتجلي المطلوب، والوارد الآتي عليك، فإن المجاهدة في الخلوة تذهب بجمعية الخلوة التي هي روحها؛ لأنها تشغل الوقت، فتحفظ من ذلك جهدك، وقدم العزلة ولا بدّ، واجعل مجاهدتك التي تأنس النفس [إليها] بذلك، واندرج فيها إلى الخلوة المطلوبة يسرع إليك الفتح إن شاء اللّه تعالى، ومهما تكلفت شيئاً من خلوتك من سهر وجوع، أو عطش أو برد أو حديث نفس أو وحشة، فاخرج منها إلى عزلتك حتى يستحكم ذلك صورة الخلوة وحالها فيها وشروطها، ثم لتسكن بيت خلوتك على ما أذكره لك، ولتكن فيه على حسب ما تجد، فأما صفة البيت المخصوص بهذه الخلوة، فينبغي أن يكون لكل خلوة، وهو أن يكون ارتفاعه قدر قامتك، وطوله قدر سجودك وعرضه قدر جلستك، ولا يكون فيه ثقب ولا كوة، ولا يدخل عليك رأساً، ويكون بعيداً من أصوات الناس، ويكون قصير الباب، وثيق الغلق، وليكن في دار معمورة فيها ناس، وإن أمكن أن يبيت أحدهم بقرب الخلوة فهو حسن، وأما صورتك في ابتدائه فهو أن تغسل لها وتنظف ثيابك، ولا بدّ من النية بالتقرّب إلى التوجه إليه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، ولا سبيل إلى كثرة الحركة فيها، ولا تزيد على الفرائض والرواتب والركعتين عند كل طهارة من الحدث، والقعود مستقبلاً القبلة دائماً، وإذا أردت الحاجة فليكن موضع خلائك قريباً من خلوتك، وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب، فإنه يؤثر فيك تفريغاً زماناً طويلاً، وليكن ماؤك لا يتغير عليك، وإذا خرجت لحاجتك فسد عينيك وأذنيك، وليكن غذاؤك معك في بيتك أو خلف باب بيتك، ومن شرط هذه الخلوة، بل كل خلوة ألا يعرف

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٦ و١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غيرك أنك في خلوة أصلاً، وإن كان ولا بدّ أن يعرف فلا يعرف منك ذلك إلاّ أقرب الناس إليك في خدمتك ممن يجهل ما أنت عليه، ولا يعرف ما تقصده، وإنما منع من ذلك تشوف نفسه عند النفوس المتشوفة بخروجك بماذا تخرج، وهي علة كبيرة، ونحن نريد تقريب الفتح على الشخص، وهذا يبعده، فإنه لا سبيل إلى الفتح وفي النفس أثر، فهذه صورة الخلوة المطلقة، وجرت فيها الكثير من الأشياء نبهنا عليها مما يحتاج إليها في الخلوة كلها العامة والخاصة، فلا نحتاج إلى تكرار ذلك في الخلوة المقيدة، والله المرشد، وقد ذكرنا صورة ترتيب الفتح في رسالة الأنوار[1] فلتنظر هناك.

خلوة الهدهد

هذه الخلوة عجيبة جداً، تدخل الخلوة كما ذكرت لك، وتستعمل في غذائك قلوب الهداهد تسحقها وتسفها سفاً، فإنك ترى العجائب، ويكون ذكرك: لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم.

خلوة الصمدانية

أيامها ثلاثون يوماً لا نوم فيها البتة بليل، ولا فطر فيها بنهار، وإن اتفق أن تكون في رمضان فهو أولى، وإلا ففي المحرم، وذكرها سورة الإخلاص.

خلوة العزيز

ذكرها جماعة من إخواني وصحتها، وأما أنا فما عملت لها من أجل الأسماء التي فيها، قال القوم الذين أخبروا بها: أن يلبس لها في كل يوم ثوباً جديداً لأربعين يوماً، وأن يكون الغذاء مرة خبزاً وزيتاً، ومرة خبزاً بزبيب، ولا يزال يذكر هذه الأسماء عقيب الصلاة في أكثر الحالات وهي: تهلطف، سلبطيع، اسماطون، اطون، نهكس، يوفس.

واعلم أن صورة الخلوة ما ذكرت لك، ثم إنه تختلف الحالات فيها على الإنسان بحسب أذكاره مع الاستعداد الداعي إلى الفتح [٢٢٦]، ولكن مما يناسب الذكر الذي يكون عليه صاحب الخلوة، وقد أدخلت مريداً لنا بذكر سهل بن عبد الله التستري[2] الذي أعطاه

---

(١) طبعت هذه الرسالة ضمن رسائل ابن عربي المطبوعة في حيدر آباد الدكن، ١٩٤٨.

(٢) أبو محمد سهل عبد الله بن يونس التستري، صاحب كرامات من الصوفية درس عنده الحلاج مدة، سكن واسط البصرة، توفي سنة ٢٣٣، وقيل غير ذلك، راجع «الأنساب» للسمعاني، ٤٦٥/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاله وهو: (اللّه معي، اللّه ناظر إلي، اللّه شاهد علي)، فتح له به في أربعة أيام، وأما أنا ففتح لي به في ليلة، وأدخلت شخصاً بليلة على (سبحان اللّه العظيم وبحمده)، فرفع من ليلته، ودخل بعض شيوخنا بذكر: (لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير)، ولزمه مرة ففتح له في التوحيد والتوكل، وكان واحد عصره فيهما، ووقفت على أسماء وأنا بالمسجد الأقصى، فعرفتها وخوطبت بها، وهي في الخلوة عجيبة، وهي: (عنت وجوه الروحانيات العلى للسبحات العظمى التي فتق بها الرتق، يا علي يا قيوم السبحات العظمى، هي المحرقة للكائنات، يا من أوجد الآباء العلويات متحركة، والأمهات السفليات ساكنة بالصفة التي هي عين الموصوف، يا من أدار القمرين حول مراكز تداويرها، وأدار الدورة الكبرى للسكون والفضل المبتغى المنطوق به على ألسنة الروحانيات العلى، يا من نظر إلى من نظر إليه، يا مذل الأعزاء، يا قدوس يا أحد، لك العز الأفخم، والملك والملكوت الأعظم، أثر جلالك الهيبة في القلوب، وأنت المحسان تنقل الأطوار والأدوار، وتعلم ما سكن في الليل والنهار، يا عظيم لا أعظم منه، يا كبير لا أكبر منه، أنت المقصود بكل هم، والمسؤول بكل لسان)، وكذلك (يا حي يا قيوم)، وكذلك خلوة (يا علي يا عظيم يا عليم يا حليم)، وما من ذكر إلاّ وله نتيجة، فإذا فهمت كيفية حالات الخلوة وصورتها، فادخلها بأي ذكر شئت، فإنه يعطيك ما في قوته ولا بدّ، ويكفي هذا القدر من التنبيه، والحمد للّه رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى اللّه على صاحب المقام الجليل (محمد) وصاحب الذكر والتنزيل، وعلى آله وأصحابه المتأدبين وسلم تسليماً كثيراً، تمت بعون اللّه وحسن توفيقه، وفقنا اللّه للعمل بما فيه بحرمة صاحبه وأسراره آمين، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا (محمد) وآله وصحبه وسلم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com